

زمانه ودلالة معناه على فاعله . فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه . وإنّما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل أنّها وإن لم تكن لفظاً فإنّها صورة يحملها اللفظ ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتمز بها . فلمّا كانت كذلك لحقت بحكمه وجرت مجرى اللفظ المنطوق به فدخلنا بذلك في باب المعلوم بالمشاهدة وأمّا المعنى فإنّما دلالته لاحقة بعلم الاستدلال وليست في حيّز الضروريات . بل يبدو أن إثبات قوّة الدلالة الصناعية بالنسبة إلى المعنوية أهمّ ما يقصده من احتجاجه في حين يبدو فضل الدلالة اللفظية على المعنوية أمراً مسلماً به ومفروغاً منه .

ويلفت انتباهنا في هذه المقابلة أنّها مقابلة بين ظواهر متحقّق من أمرها تحقّقنا في مجال المعرفة من المعلوم بالمشاهدة ومما هو داخل في حيّز الضروريات وظواهر أخرى ظنيّة . ، وتتماشى هذه المقابلة بين هذين النوعين من المعرفة المحصلين من شقي الدلالات على نحو ما بيّنا مع تأويلنا من حيث إثبات أفضلية الدلالة المحصّلة من تضامن صعيدي الوظيفة السيميائية على غيرها إذ هي مقابلة بين ما هو ضروري وما هو ممكن . لكن إثبات أن المفاضلة التي يقيمها ابن جني بين الدلالة اللفظية والصناعية معا من جهة وبين الدلالة المعنوية من جهة أخرى تتماشى مع المفاضلة التي يمكن أن يقيمها اللساني بين شكل المضمون ومادّة المضمون لا يكفي دليلاً على دعوانا، لأنه يمكن أن يفترض أن الدلالة المعنوية لا تعني الدلالة النحوية . فنقول :

إن الأمثلة التي يسوقها ابن جني هي أمثلة لكلمات معزولة عن سياقها وليست جملاً أو تراكيب نحويّة . ولذلك فالمفاضلة التي يقيمها بين الدلالة اللفظية والصناعية ثم الدلالة المعنوية أو المقابلة بينها هي مقابلة بين أنواع الدلالات التي يمكن أن تستفاد من تحليل فعل غير مقحم في سياق نحوي ويدلّنا على ذلك قوله :
«ألا تراك حين تسمع ضرب قد عرفت حدثه وزمانه ثم تنظر فيما بعد فتقول هذا فعل ولا بدّ له من فاعل . فليت شعري من هو؟ وما هو فتبحث حيثنذ